

## مقدمة

بسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، الرحمة المهداة .  
أما بعد ، فهذه دراسة لقريش وتاريخها ، أعان الله عليها ، ويسر أسبابها ، فتمت  
بمعاونته ، وتيسرت بسابغ فضله ، فله - سبحانه - الفضل والمنة بداية ونهاية .

وفكرة القيام بدراسة لقبيلة قريش وتاريخها ، وأسباب قوتها وشفوفها على غيرها  
من قبائل الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده ، وصراعها مع الإسلام رغم طلوع  
رسول الله ﷺ من بين أظهرها ، ثم دخولها فيه ووصولها إلى رياسة دولته ، وما جرى  
عليها بعد ذلك من تصارييف الزمان وما كان لذلك من آثار في تاريخ أمة الإسلام ،  
هذه كلها موضوعات دارت في ذهنى من زمن طويل ، لأن قريشاً كانت العمود  
الفقرى للتاريخ الإسلامى فى معظم عصوره ، ولا يتأتى فهم هذا التاريخ على وجهه  
إلا إذا درس الباحث شأن قريش - وهى كانت دائماً من أصغر قبائل العرب حجماً ،  
وكيف ظهرت فى التاريخ ؟ وكيف تمكنت من بناء نفسها وسيادة غيرها من قبائل  
الجزيرة ، وبينها قبائل ضخمة كالشعوب ، من أمثال تميم والأزد وقضاعة وعبد  
القيس وهوازن وغطفان ، وصمودها فى صراع القبائل فى بحر الرمال والصخور قبل  
ظهور الإسلام .

هذه كلها موضوعات مباحث شائقة وشاقة فى نفس الوقت ، ولكنها ضرورية لمن  
يريد أن يدرس السيرة النبوية الجميلة وموقف قريش منها وانقسامها إلى قريش  
الإيمان وقريش الكفر ، وما كان من صراع بين القريشيين ، وانتصار قريش الإيمان ،

وهي الأقل عدداً وثروة . واندراج قريش الكفر فيها ، ثم كيف وصلت عدوة الإسلام التي دخلت الدين في السنة الحادية عشرة كما يقولون ، واقتدرت رغم ذلك على الوصول إلى رياسة أمة الإسلام ، واستطاعت تحويل الأمة المجاهدة إلى دولة ذات ملك وسياسة وغايات دنيوية ، وما كان لذلك كله من آثار بعيدة المدى في تاريخ أمة الإسلام .

ولم أكن لأقدم على ولوج هذا الباب وأنا منصرف بكليتي إلى إنجاز أطلس تاريخ الإسلام وكتابة السيرة النبوية ، وكل منهما مطلب يستنفد العمر الطويل ، ولكن الظروف شاءت أن أكون في مدينة الرياض في خريف ١٩٨٢ ويضمني مجلس أدب وعلم مع الأخ الأستاذ علوى طه الصافي في دار الفيصل ، ويقترح الصديق أن أكتب عن قريش دراسة خاصة لمجلته « في نحو عشرين صفحة » وأمضى وأشرع في العمل ، وبعد حين أستأذن الأخ في أن نجعل الدراسة كتاباً صغيراً في نحو مائتي صفحة ، ولا يزال الموضوع يتفتح أمامي والدراسة تستدرجني من مطلب إلى مطلب ، ومن مرجع إلى مرجع ، وخذعني البحث عن نفسي وعن نفسه فأجد نفسي في النهاية أمام مادة بلا نهاية ، ويكون شأنى معها شأن واضع أى قاموس أو معجم ، فإن المشكلة مع واضع القاموس ليست : ماذا يضع فيه ، بل ماذا لا يضع ؟

ثم يلقاني الأخ الصديق الأديب الناشر محمد بن علي الوزير ويقول : ضع كل ما تحب وأنا ينشر ذلك ذلك زعيم ، فأتشجع وأمضى حتى أصل بالبحث إلى ما ترى ، وقد حررته وعدت عليه بالمراجعة والتدقيق وإعادة الكتابة مرة بعد أخرى ، ودفعت به إلى المطبعة وأنا جِدُّ متخوف ، فإن الميدان واسع ، والموضوعات متعددة معظمها جديد على البحث ، والموضوع في جملته بالغ العسر ، ولكنني أطمع دائماً في كرم القارئ وإحسانه ، وهذه على أى حال أول محاولة لمؤرخ محدث في التأريخ لقريش منذ ظهورها على مسرح التاريخ إلى يومنا هذا ، ومن هنا فإن احتمالات الخطأ كثيرة والقارئ مرجو أن يحسب حساب هذا كله وهو يقرأ هذا الكتاب ، وإذا شاء أن يعتبر هذا الكتاب كله مجرد بداية لدراسة تاريخ قريش فذلك فضل منه وأريحية . وهذه المطالب يحاولها الباحث مرة بعد مرة ، ويراجع ما يقوله الناس فيه طوراً بعد طور

والعلم لا يعرف شيئاً اسمه الكلمة الأخيرة وخاصة في موضوع بهذا الاتساع والأهمية .

والكتاب في ذاته ضخم ، ولا يحسن أن أزيده طولاً بالإسراف في التقديم ، وإنما لا يحسن بي أن أختتم هذه الكلمة دون أن أتقدم بالشكر إلى الأخوين الكريمين : إبراهيم الوزير ، ومحمد الوزير ، والصديق الدكتور محمود على مكى الذى أعاننى في مراجعة بعض تجارب الطبع ، وتلميذى محمد فخرى الوصيف الذى شاركنى في مهمة مراجعة الكتاب وتصحيح تجارب الطبع والإشراف على المراحل الأخيرة للفراغ منه ، والله سبحانه من وراء القصد والنية .

القاهرة : رمضان ١٤٠٦هـ / يونيو ١٩٨٦م .

خادم العلم  
حسين مؤنس